

تفسير الثعالبي

انتهى و الذين استكبروا هم الأشراف والعظماء الكفرة و الذين استضعفوا هم العامة
والاغفال في الدنيا وهم اتباع الرسل وقولهم أتعلمون استفهام على معنى الاستهزاء
والاستخفاف فأجاب المؤمنون بالتصديق والصرامة في دين الله فحملت الانفة الأشراف على مناقضة
المؤمنين في مقالتهم واستمروا على كفرهم .
وقوله سبحانه فعقروا الناقة يقتضي بتشريكتهم أجمعين في الضمير إن عقروا الناقة كان على
تمالذ منهم واتفاق وكذلك روي أن قدارا لم يعقروها حتى كان يستشير وعتوا معناه خشنوا
وصلبوا ولم يذعنوا للأمر والشرع وصمموا على تكذيبه واستعجلوا النعمة بقولهم ائتنا بما
تعذنا فحل بهم العذاب والرجفة ما تؤثره الصيحة أو الطامة التي يرفف بها الإنسان وهو أن
يتحرك ويضطرب ويرتعد ومنه فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفف فؤاده وروي أن صيحة
ثمود كان فيها من كل صوت مهول وكانت مفرطة شقت قلوبهم فجثموا على صدورهم والجاثم
اللاطء بالأرض على صدره فجاثمين معناه باركين قد صعق بهم وهو تشبيه بجثوم الطير وجثوم
الرماد قال بعض المفسرين معناه حمما محترقين كالرماد الجاثم وذهب صاحب هذا القول إلى
أن الصيحة اقترن بها صواعق محرقة وروي أن الصيحة أصابت كل من كان منهم في شرق الأرض
وغربها إلا رجلا كان في الحرم فمعنه الحرم ثم هلك بعد خروجه من الحرم ففي مصنف أبي داود
قيل يا رسول الله من ذلك الرجل قال أبو رغال وذكره الطبري أيضا عن النبي صلى الله عليه
وسلم وهذا الخبر يرد ما في السير من أن أبا رغال هو دليل الفيل وقوله فتولى عنهم أي
تولى عنهم وقت عقروا الناقة وذلك قل نزول العذاب وكذلك روي أنه عليه السلام خرج من بين
أظهرهم قبل نزول العذاب وهو الذي تقتضيه مخاطبته لهم ويحتمل أن يكون خطابه لهم وهم
موتى على جهة التفجع عليهم